

كيف ينبغي أن تكون الاخلاق لتحقيق سلام عائلي

للأستاذ عطيه مصطفى مشرفة

الشعور بأمراض الأسرة وآلامها والعمل على ما يحقق وجود العدل الاجتماعي فيها وكفالة توزيع المغارم والمغانم بين أفرادها ، يدل على سمو الأمة الخلق وكما لها الأدبي ، ويبرهن على أن كيانها الاجتماعي يقوم على أساس سليم وطيد . فالأسرة هي قطب دائرة الأمة والنواة الاجتماعية الأولى للجمع المعمرى . والإنسان مدني بطبعه ليس في قدرته أن يظل منعزلاً عن حوله فهو يحتاج دائماً إلى مساعدة غيره له في كل أطوار حياته ، فالأسرة إذن هي أول خلية اجتماعية وجدت في الجنس البشري ، وهذه الوحدة الاجتماعية الأولى اشتملت على جمع من الأفراد ربطتهم صلة القرابة وجمعهم رابطة الدم والنسب ، فأفراد الأسرة متضامنون يحافظون على أموال أمرتهم وحقوقهم ويحمون أفرادها . لذا قال أرسطو " إن الأسرة هي مصدر الدولة وأساسها الذي تقوم عليه " فكان رب الأسرة يدير شئونها الداخلية ويتولى أمورها الخارجية أمام الجماعات الأخرى وفقاً للتقاليد والعادات .

الخزانة العامة لا تستطيع في حدود مواردها أن تنهض بأكثر مما تنهض به من الخدمات الاجتماعية الحالية . فيجب أن تنهض إلى جوارها جهود الأفراد في الأسرة ، هذا بفكره وذاك بوقته وذاك بماله ، إذ لا يستحق أن يسمى إنساناً من لا يشعر بحق أخيه الإنسان . إن الشرائع الإنسانية والساوية توجب علينا أن نوجد للشيوخ والعجزة ما يخفف عنهم البؤس والمهوان ، وألا نترك الأطفال يمانون شظف العيش والحرمان ، وإلا نذر البائسين يذرفون دموع الأسى والآلام لأنهم محرومون من الطعام والمأوى والكساء .

كيف يهنا الغنى في أسرته بلذيت المأكول ومرىء المشرب وفانحر الملبس ولذيت العيش ، وبعض أقاربه الفقراء صغر الوجوه غائرو العيون ، يبيتون على الطوى جائعين غير كاسين ، يتقبلون على فراش الآلام والسقام مرضى منهوكين ؟

لقد جادت النفوس وتنجرت الأئدة وفاض الاحسان وقل رصيد الوفاء .
خص الله سبحانه بعض أفراد الأسرة دون بعضها بالمال ، نعمة منه عليهم ، وجعل
شكر ذلك منهم إخراج جزء من مالهم يؤدونه إلى من لا مال له ، بلغ ربع العشر أى ٢,٥٪
حتى يبعد عنهم نظرة الحقد من فقراء أسرته . قال تعالى :

” خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ” (١) .

وقال عليه الصلاة والسلام ” أمرت أن آخذ الصدقة من أغنيائكم وأرذها على فقرائكم ” .
فالتضامن الاجتماعى فى الأسرة بين المتمتعين والمحرومين هو أحد مشاكلنا الاجتماعية .
وغنى الأسرة لا يتبرع إلا إذا لاح له ولو عن بعد بريق رتبة أو نيشان .

الأخ الغنى يتباعد عن الفقير ، والقريب الغنى يتباعد عن صلة ود قريبه
البائس ويتجاهل وجوده وقربته . والتراود يكاد ينقطع بين أفراد الأسرة الأغنياء وأفرادها
الفقراء ، الموظف الكبير فى الأسرة يتجاهل الموظف الصغير فيها ، موائده وحفلاته فى المواسم
والأعياد وغيرها خالية من هؤلاء البؤساء الفقراء الذين هم أقرب الناس إليه ، مزدحمة بأثرياء
لا صلة له بهم . فهو فى أفراحه يجتهد فى أن لا يدعو الفقير من أهله وعشيرته ، وفى أراحه
يخجل أن يراه . بل إن من أفراد الأسرة من يقف يشايح الظلم ويؤيد رغبات تنافى الدين
والبروءة وتخالف ما فوضى به الله سبحانه وتعالى حتى يصبح هو غنيا ويلزم الفقر أخاه المحروم أو
أخته المحرومة من الاستحقاق فى وقف ، وقد يكون الواقف أبا لها ، مع أن الله فرض
الفرائض فى سورة النساء بآيات التورث وأكدها بقوله :

” تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ” وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ” (٢) .

ناسيا أن الظلم لا يعتبر حقا مكتسبا فى أى وقت من الأوقات ، وأن واجب الفرد
فى الأسرة أن يرد هذا الظلم ويرفعه على الأقل فى دائرة أسرته ، وأن يهد الجوين أفراد
أسرته لاحتماق الحق وإقامة العدل ، فالشرائع السماوية تحض على تحقيق المساواة بين الناس
ولا تقبل أن ينعم القليل من الأسرة فى مجبوحة من الرفاهية وسعة من الرزق وأن تتضور
الأغلبية جوعا .

(١) سورة التوبة آية ١٠٣

(٢) سورة النساء آيات ١٣ و ١٤